

الطلاق

حلال عليه بشاعة الحرام

في سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ متداخلة عقد بين السكان المسلمين في القاهرة ١٨,٥٤٧ زواجا . وفي هذه السنة نفسها أخرجت ٧,٩٧٣ شهادة للطلاق . فاذا تركنا الكسور جاز لنا أن نقول إن من كل ١٨ زواجا في القاهرة فشل أكثر من ٧

وتم في الاسكندرية في السنة نفسها ٨,٥٦٧ زواجا . وأخرجت شهادات للطلاق بلغت ٣,٠٣٣ أى فشل الزواج في ثلاثة من كل ثمانية .

فاذا تركنا هاتين المدينتين ونظرنا الى المديرية التي يكثر فيها الرقيقون وجدنا أن الحال — من حيث الطلاق — تفضل المدن . ففي المنوفية مثلا بلغت عقود الزواج ١٧,٤٣٦ وشهادات الطلاق ٤,١٥٩ أى فشل ٤ فقط من ١٧ زواجا . وفي الشرقية بلغت عقود الزواج ١٧,٠٦٥ وشهادات الطلاق ٥,٢٤٦ .

وهذه الأرقام تدل على أن الزواج في الريف أثبت منه في المدن . ولا بد أن لذلك أسبابا ربما كان أوضحها ، أن عامل الريف — الفلاح — إذا اشتى زوجة جديدة لم يصد الى طلاق زوجته القديمة . لأن الزوجة تعمل وتنج في الريف وكذلك الأولاد . ولكن عامل المدينة عند ما يشتى زوجة جديدة يضطر الى أن يطلق زوجته القديمة . لأنه — لغلاء المعيشة في المدينة — لا يستطيع أن يعول زوجتين وأولادهما .

وواضح أن الطلاق يشق في الأوساط الفقيرة وطبقات العمال أكثر مما يشق في الأوساط المتيسرة وطبقات الموظفين والتجار . وقد ذكرنا مدينتي القطر الكبيرين ومديرتين من مديرياته لكن نئين مقدار الفشل الذي يصيب الأسرة المصرية بالطلاق . فان البيت شركة مالية واقتصادية واجتماعية ونفافية . وكل طلاق يحدث هو بمثابة الإفلاس لهذه الشركة . وصحيح أن الإفلاس ضروري أحيانا لأنه يصفى الارتباك المتراكمة . ولكنه إنلاس مع ذلك يدعو الى الأسف ويسىء الى الكثيرين . وقد يترك جروحا لن تلئم . وهذا هو الحال في الطلاق . فانه يحل قيذا قد لا يطاق . ولكنه يبعثر الأولاد وتتفكك منه روابط قد انفق على توثيقها الكثير من العواطف الشريفة والكثير من المال العزيز .

والزوج الذي يترك زوجته الأولى لن يستطيع أن يقدم على زواجه الثاني بمثل التلطف والشوق والحرارة التي كان يجدها عند إقدامه على الزواج الأول . فان الصورة التي ارتسمت في ذهنه من الحب قد فسدت . وهو يحسد في نفسه مرارة تجعله كثير التوجس قليل الثقة

في السعادة التي ينتظرها من الزواج . وكذلك الزوجة المطلقة لن تنتظر ذلك الهاء الذي كانت
تتشوق اليه في سدا جتها قبل الزواج الأول . فسماعة الزوجين قد تحيفها الطلاق وأصابها
بنقص لن تبرا منه .

ولكن الضرر يفدح اذا كان هناك أولاد . فتحن نرثي لليتيم الذي يموت أبوه أو أمه
ونشعر أن هذا المسكين قد حرم عطفًا ذو أحسن ما تسعد به الطفولة . ولكن يجب أن
لا ننسى أن الطفل الذي ينفصل أبواه بالطلاق لا يختلف عن اليتيم في شيء من ناحية الحرمان
من هذا العطف الأبوي . فإنه يعيش بعد الطلاق مع واحد من أبويه في بيت يشعره أنه
غريب فيه . وقد يشاء الحظ السيئ أن يكون له إخوة من غير أمه أو أبيه يؤثرون عليه
في المعاملة فتتركب في نفسه أسوأ المركبات من الحسد الى الخبيث الى الذلة . ثم يخرج هذا
الطفل الى المجتمع فيعامل أفرادهم أعداؤه وكان كل امرأة فيه هي زوجة أبيه أو كأن
كل رجل فيه هو زوج أمه . فهو لا يعرف من العلاقات الاجتماعية بينه وبينهم غير الحذر
والتوجس . وامل مما يجدر ذكره هنا أن نقول إن معظم الأحداث في الإصلاحات قد نشأوا
في أسرفصل الطلاق فيها بين آبائهم . فحرموا من الرعاية والعناية والتربية التي يلقاها الطفل
من أبويه ولقوا بعد الانفصال من المعاملة السيئة ما أثار في نفوسهم أسوأ الاستجابات التي
أوقعتهم بعد ذلك في الإجرام .

ويجب علينا لهذا السبب أن نهئ جميع الوسائل التي تجعل الزواج ثابتا حتى يتم به هناء
الزوجين ، وحتى يتوافر للأولاد الوسط الأمثل لتربيتهم . وأول ما يجب على من يرشح نفسه
للزواج من البنسين أن يعنى العناية الكبيرة باختيار الزوج . وقد قيل إن سهولة الطلاق تجعل
الشاب أو الفتاة المصرية تقدم على الزواج دون مبالاة باعتقاد أن الطلاق ميسر في كل وقت
ولكننا نظن أن هذا الاعتقاد بعيد كل البعد عن العروسين ، وأن النية هي على الدوام والاستقرار .
ولكن مما لا شك فيه أن كثيرا من الطلاق يرجع الى قلة العناية في اختيار الزوج . ولذلك
يجب أن تطال مدة الخطبة حتى يتم التعارف . ويجب على الشاب أن يتعرف الى أهل عرومه
وخاصة أبويها . فقد يحدث الطلاق لخلاف ينشأ بينه وبين أمها أو بينه وبين أبيها . ومدة
الخطبة تنسم بالملاطفة والترين فلا يستطيع الشاب أن يتعرف أخلاق خطيبته . ولكنه
يستطيع أن يعرف الكثير من هذه الأخلاق اذا هو نظر الى أمها بالعين الناقدة والذهن البصير .
فالفتاة مهما تظهر من أخلاق لن تستطيع في المستقبل أن تنسى النشأة الأولى التي كانت لأمرها
اليد الطولى فيها . وعلى غرار هذه الأم تنشأ الفتاة . فاذا رأى الشاب من أخلاق هذه الأم
ما لا يحب ، فمليه أن يحذر هذا الزواج وهو قد يظن أنه يستطيع أن يسوس زوجته على غير
الأخلاق التي رأى من أمها . وقد يكون مصيبا في هذا الظن . ولكن الأغلب أن الفتاة
ستلتم العادات التي تعودتها من أمها منذ أيام الطفولة .

ومن أسباب الثبات والدوام في الزواج أن يكون الزوجان من طبقة واحدة . لأن اختلاف الطبقات يؤدي إلى اختلاف العادات والذوق والمعيشة . فيجب ألا يختار المتعلم جاهلة أو المتمدن ريفية أو المحافظ متحررة . وكلما قلت الاختلافات كان الوفاق مرجحاً بين الزوجين ، لأن لكل طبقة أذواقاً خاصة في المعيشة . ويحدث التصادم من الاختلاف في هذه الأذواق التي تسلسل إلى جميع شؤون البيت تقريباً . فإن المساندة الريفية غير المساندة في بيوت المدن . وقد يسقى الزوج عندما يحس العجز في زوجته عن تقديم الشئ لضيوفه بطريقة مرضية .

وهناك بالطبع مفارقات بالغة تعود إلى اختلاف البيئة الاجتماعية . فإن الزوج المتمدن الذي يفاجأ في بيته ببغلة زار لا يمكنه أن يسكن إلى المعيشة الزوجية . وكذلك . والزوجة التي جاءت من الريف وفي جهازها حجر بركاني للاستحمام أو التي تعودت أن تضع البطيخ أو الملوخية تحت السرير لا يمكن أن تتفق مع زوج عصري .

ومما يعمل أيضاً على ثبات الزواج أن يكون الزوجان متقاربين في السن ، لأن هذا التقارب يعني تقارباً في الذوق كما أنه يبعث على توثيق الحب ، وبديهي أن الزوجين لا يربطهما الحب وحده ، فإن هناك الرعاية والمزاملة ومصلحة الأولاد ومستقبلهم والمركز الاجتماعي للعائلة ، وهنا ترد على الخاطر كلمة عمر بن الخطاب ، فقد هم رجل بتطليق امرأته بدعوى أنه لا يحبها ، فقال له عمر : ” ألم تبني البيوت إلا على الحب ؟ فإن الرعاية والتذم ؟ ”

ومما يساعد على استقرار الحياة الزوجية أن تكون بين الزوجين مزاملة أي مساواة أو على الأقل مقاربة في المستوى الثقافي حتى يجد كل منهما في الآخر الصديق المحدث والزميل المسامر ، وحتى يكون لهما اهتمام مشترك في شؤون الاجتماع ، وهنا واجب يقع على الزوج وحده وهو أنه منذ أول يوم من الزواج يجب عليه أن يتعهد زوجته بالتنوير والتثقيف حتى ترتفع إلى مستواه أو تقاربه .

وللتلخيص نقول : لكي يتفادى الزوج من أسباب الطلاق يجب عليه :

- (١) أن يعنى باختيار الزوجة العناية الكبيرة .
- (٢) أن يطيل مدة الخطبة لكي يتمكن من هذه العناية .
- (٣) أن يتزوج من طبقته الاجتماعية .
- (٤) أن يختار زوجته في سن تقاربه .
- (٥) أن يساعدها على أن تكون زميلته .

وأخيراً يجب عليه أن يذكر الحديث الشريف : ” أبغض الحلال إلى الله الطلاق ” ، وقول شوقي ” إن الطلاق حلال عليه بشاعة الحرام ” .



وإلى هنا قد ذكرنا ما يجب على الزوج، وبديهي أن الزوجة أيضا عليها واجبات لا تختلف كثيرا عن واجبات الزوج ، فانها هي أيضا يجب أن تعنى العناية الكيرة باختيار الزوج وأن تؤثر بيتا مستقلا ليس فيه حياء على البيت المشترك ، وكذلك يجب أن تؤثر زوجا من طبقتها الاجتماعية وفي سنها أو أكبر قليلا .

وبعد ذلك يجب ألا تعد الزواج استقرارا بعد الخطبة بحيث تحمل قوامها ووجهها وترك تزيئها ، بل عليها أن تعد استمرارا للخطبة فتصون جمالها وترعاه ، وهناك تلك الزوجة الأمانة المخلصه التي تحب بيتها وتثق بزوجها وتجعل من نفسها مرطونا في المطبخ ثم تقاجأ يوما ما بهجران زوجها لأنه يتطلع إلى غيرها ، فلتحذر الزوجة هذه الثقة العمياء ، وعليها أن تمرن عضلاتها كل يوم حتى يقي خصرها ضامرا وصدرها عاليا وقامتها معتدلة ، وحسبها لتحقيق كل هذا أن تسمح غرفة أو غرفتين في البيت كل يوم ، فان هذه الرياضة تشد عضلاتها وتقيا من الزهول .

ثم عليها أن تزين في البيت كما تزين في الشارع ، فان الثياب الزاهية الجميلة ليست للجمهور أولا وإنما هي قبل كل شيء للزوج . هذا الزوج الذي لا يرى السيدات الأخريات إلا وهن على أحسن هيئة وأزهى بزة ، وهو يقيم المقارنة في ذهنه بينهن وبين زوجته التي لعائها في بعض الأحيان تقابله وهي في مبادل المطبخ ، ومثل هذه المقارنة إذا تكررت غرست في نفسه أسوأ الصور لزوجته وربما انتهت إلى أواخر العواقب .

ويجب أخيرا على الزوجة التي تريد أن تحظى بصداقة الزوج وحبه أن تزامله في جميع همومه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فعليها أن ترقى نفسها ولا تترك ذهنها يترهل ، وأن تقرأ الجريدة اليومية بعناية وتسال عما لم تفهم كما طلبها أن تقرأ ما تستطيع من مؤلفات وتناش فيها وأن تندمج في زمرة معينة من الصديقات لمن مثل تربيتها أو أرقى منها حتى تنفع بصداقتهن ، فان الزوج الذي يترك زوجته ويمخني وحده في الجريدة أو المجلة أو الذي يتركها لكي يقصد إلى القهوة لمجالسة الأصدقاء إنما يفعل ذلك لأنه يشعر أن زوجته ليست زميلته وأنه لا يرتاح إلى حديثها عن الخدم والأولاد وهذه السيدة التي اشترت فستانا جديدا أو هذه الفتاة التي خطبت إلى فلان ، فان كل هذه الشؤون لا تلقى اهتمامه وهو يحتاج إلى قضاء أدم من هذا لذهنه ، فاذا لم يجد هذا الغذاء في زوجته فهو لا بد باحث عنه في القهوة أو النادي أو الكتاب أو الجريدة ، وفي هذه الحال تهى العلاقة بين الزوجين وتقدر عرضة لأن تنقطع في أى وقت .